مجلة "مدارات في اللّغة والأدب" الصادرة عن مركز مدارات للدراسات والأبحاث، تبسة–الجزائر.

المجلد:01.العـدد: 04. السنة: 2020 ص 07– 25
ISSN 2661-765x

الأدب الرقمي بين إنتاجية المعنى وفاعلية التلقي.

Digital literature between the productivity of meaning and the effectiveness of receiving

أ. نسيمة بوزمام*

جامعة محمد البشير الإبراهيمي، برج بوعريريج، الجزائر.

البريد الالكتروني: bouzmamnassima@gmail.com

ملخص البحث

لم يعد الحديث عن وُلوج التكنولوجيا الرقمية إلى عوالم الأدب أمرا مُستغربا بقدر ما أضحى ضرورة لابدّ منها في عالم صارت كلّ تعاملاته اليومية تقوم على الوسائط الالكترونية، ومن هذا المنطلق دخل الأدب إلى الشاشة الزرقاء استجابة لمجموعة من المتغيرات التي عرفها العالم في الفترة المعاصرة، ليتحول الأدب مع الوسيط الجديد إلى نص يتحكم فيه القارئ أيّما تحكم؛ إذ صار المتلقي يحتل مساحة تعادل أو تزيد عن مساحة صاحب النص، كما جعله (المتلقي) في توتر دائم وهو يبحث عن البدايات والنهايات نظرا لاعتماد الأدب الرقمي على ميزة الروابط التي تشتغل بقوة في إعطاء النص شرعيته التي لا تكتمل إلّا مع كلّ قراءة، بحيث يمكن للقارئ أن يحقق مع كل قراءة نصا مترابطا جديدا يختلف عن السّابق، وعلى هذا الأساس جاءت فكرة هذا البحث للخوض في مسألة إنتاج المعنى في النص الأدبي الرقمي وفاعليّة تلقيه.

Abstract :

Talking about the log of digital technology into the worlds of literature is no longer as surprising as it has become a necessity in a world where all its daily dealings are based on electronic media, and from this point of view literature entered the blue screen in response to a set of variables known by the world in the period For contemporary, to turn literature with the new medium into a text controlled by the reader, as the recipient occupies an area equal to or

* المؤلف المرسل: أ. نسيمة بوزمام bouzmamnassima@gmail.com

المنارة للاستشارات

ww

greater than the space of the author of the text, and also made him (the recipient) in constant tension as he searches for beginnings and endings due to the dependence of digital literature on the advantage of links that work strongly in giving the text a law It is only complete with each reading, so that the reader can achieve with each reading a new coherent text that is different from the previous, and on this basis came the idea of this research to delve into the issue of producing meaning in the digital literary text and the effectiveness of receiving it.

مقدمة:

شهد العصر الراهن متغيرات عديدة خلفتها ظهور الثورة التكنولوجية التي فرضت تأثيرها العريض على جميع مناحي حياة الإنسان المعاصر، فقد كانت بمثابة تحوّل ضخم ترك بصماته الراسخة، ولما كان النص الأدبي يتأثر كثيرا بمتغيرات عصره، كان من الطبيعي أن تظهر ملامح هذه الثورة الرقمية على النتاج الأدبي بوصفه الوعاء الحامل لثقافة أمته، بل هو الأمة ذاتها هويّة وانتماء؛ حيث رافق النص الأدبي تحدّيات الثورة التكنولوجية، فانتقل النص الأدبي من عوالمه الورقية إلى معالم الرقميّة، وحينئذ تمخضت الثورة التكنولوجيّة عن ولادة أجناس أدبيّة اعتمدت فيها على تقنيات الحاسوب في تطوير الأجناس الأدبيّة الكلاسيكية، فظهرت الرواية التفاعليّة، والقصة التفاعلية، والمسرح التفاعلي وغيرها من الأجناس الأدبيّة، وقد دعمتها حوافز إبداعية غيّرت من طبيعتها وأنتجت أشكالا متنوعة وفق تقنيات الحاسوب وروابطه المختلفة.

إنّ الحديث عن دخول النص الأدبي إلى عوالم الرقمية فرض تغييرا في أطراف العمليّة الإبداعية، حيث صارت سُلطة النص بيد القارئ؛ إذ ساهم انتقال النص الأدبي من طور الورقية إلى طور الرقميّة في إتاحة الفرصة للمتلقي للمشاركة في العمليّة الإبداعيّة متخفيا خلف ستار الشاشة الزرقاء،

المنارة للاستشارات
ww

حيث أصبح بإمكانه إبداء رأيه في النصوص الأدبية ومن هذا المنطلق صارت مساحة المتلقي في النص تعادل أو تزيد عن مساحة صاحب النص، وقد أوشك المبدع على التلاشي حين أصبحت العلاقة الإبداعية تقوم بين النص والمتلقي، بعد أن كانت قائمة بين النص ومبدعه، وذلك بعدما أقصت نظرية التلقي المبدع إقصاء كلّيا من العمليّة الإبداعيّة وقصرت جُهده على كتابة النص وتسليمه للمتلقي الذي يُعدّ في الأصل حاضرا أثناء الكتابة، وعلى هذا الأساس جاءت فكرة هذا البحث للخوض في مسألة إنتاج المعنى في النص الأدبي الرقمي وفاعليّة تلقيه، وقد انطلقت للبحث في هذا الموضوع من مجموعة من الإشكاليات أهمها:

1-ما هي خصوصية إنتاج المعنى في النص الأدبي الرقمي؟

2-وإلى أيّ مدى يمكن القول بأنَّ إشراك المتلقي في العمليّة الإبداعية يعدّ تمييعا لهوية النص الرقمي وهوية مبدعه؟

3-وهل يمكن القول بأنّ انتقال النص الأدبي من طور الورقية إلى طور الرقمية يُعتبر تعزيزا لفاعليّة التلقي خاصة وأنَّ القارئ الرقمي يحتل مساحة واسعة في العمليّة الإبداعيّة؟

1-ماهية الأدب الرقمي:

إنَّ الحديث عن مفهوم الأدب الرقمي يفرض علينا الإشارة إلى أنَّ هذا الجنس الأدبي الذي يُساير معطيات عصره الرقمي قد دخل في دوامة إشكالية المصطلح التي يتخبط فيها النقد العربي المعاصر نتيجة ترجمة للأعمال النقدية الغربيّة، حيث اختلفت التسميات وتباينت الترجمات في مصطلح "النص التشعيبي فإنَّ الإشكال ذاته وقع في تسمية/ترجمة الأدب المنتفع من التقنيات الرقمية ووسيطها التكنولوجي، فظهرت تسميات من أبرزها: الأدب الرقمي الأدب التفاعلي، الأدب الالكتروني (...) في الشأن ذاته تقول الناقدة عبير سلامة: إنَّ أكثر المهتمين بالأدب الرقمي يقاومون تصنيف الأعمال في أنواع محددة لكنّهم يتفقون على أنَّ هذا المصطلح يُمثّل مظلة عريضة تندرج تحتها أطياف متمايزة أهمها الأدب الخطي، الأدب التشعيبي، الأدب متعدد الوسائط، الأدب

المنارة للاستشارات
ww

التفاعلي، الأدب المشفر بلغات البرمجة"[1] فهذه كُلّها تسميات متعددة لمفهوم واحد، ولعلّ ما خلق هذه الفوضى المصطلحية هو تلك الترجمات الفردية التي قام بها النقاد العرب، وفي السياق ذاته تُؤكد **زهور كرام** على أنّه "لم يستقم بعد تعيين المصطلح الذي يحدد النص التخييلي في الأدب الرقمي، ليس فقط في التجربة العربيّة، ولكن أيضا في التجربتين الأمريكية والأوروبية (تفاعلي، مترابط رقمي إلكتروني، معلوماتي، تشعبي) وهي مسألة مرتبطة بتحديد كلّ نوع أدبيّ جديد والذي يصطدم بسؤال التعريف الاصطلاحي"[(2)] وعليه فإنَّ التجربة الغربيّة نفسها في حقل الأدب الرقمي لم تسلم من فوضى المصطلح المحدد لهذا النوع الجديد من الأدب، وهو ما انجرَّ عنه هذا الخلط المصطلحاتي في الساحة الأدبيّة العربيّة.

إنَّ هذا التحول الكبير من الورقي نحو الرقمي قد وجّه الأنظار نحو كلّ ما هو إلكتروني، حيث "جاءت أفكار **تيد نيلسون** لتُزيح فكر **جوتنبرغ** وتُحرّر النصوص من قبضة تلك الخطية الصارمة التي فرضها جمود الورق وثبوت الطباعة إنَّ مطبعة **جونتبرغ** حوّلت الأفكار إلى نقوش غائرة في مادة الورق، وجاءت تكنولوجيا المعلومات لتسلب الورق ماديته بعد أن حوّلتها إلى وثائق إلكترونية"[(3)] ولعلَّ هذا الانتقال من الورقي إلى الرقمي هو ما خلق تحوّلا كبيرا في أطراف المنظومة الإبداعية المتعارف عليها.

---

(1) أحمد زهير رحاحلة: إشكاليات المتلقي في ضوء الإبداع الرقمي (المفاهيم، الشروط، الوظائف)، جامعة البلقاء التطبيقية، مقال منشور في الموقع الالكتروني: www.researchgate.net

(2) زهور كرام: الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، منشورات دار الأمان، الرباط، 2013، ط2 ص23.

(3) عمر زرفاوي بن عبد الحميد: العصر الرقمي وثورة الوسيط الالكتروني (قراءة في تحوّلات اطراف المنظومة الإبداعيّة)، مجلة المخبر، وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، العدد1، 2009 ص115.

المنارة للاستشارات
ww

يُعرّف **سعيد يقطين** الأدب الرقمي بأنّه "مجموع الإبداعات(والأدب من أبرزها) التي تولّدت مع توظيف الحاسوب ولم تكن موجودة قبل ذلك، أو تطورت من أشكال قديمة، ولكنّها اتخذت مع الحاسوب صورا جديدة في النتاج والتلقي"[4]فإنتاج المعنى وتلقيه قد اتخذ مفهوما جديدا مع ولوج الأدب إلى عوالم الرقميّة، أين انتقلت السلطة من يد المبدع إلى يد المتلقي الذي صار يتحكم في النص الرقمي.

في حين يُعرّفه **مشتاق عباس معن** وهو الرائد الأول للقصيدة التفاعلية في العالم العربي بأنَّه "النص الذي يستعين بالتقنيات التي وفرتها تكنولوجيا المعلومات وبرمجيات الحاسب الالكتروني لصياغة هيكلته الخارجيّة والداخليّة والذي لا يمكن عرضه إلّا من خلال الوسائط التفاعلية الالكترونية كالقرص المدمج والحاسب الالكتروني أو الشبكة العنكبوتية الإنترنت"[5]ويُحدد هذا التعريف الوسيلة التي يُعرض فيها النص الأدبي حتى يُسمى رقميا، كالقرص المدمج والحاسوب الالكتروني ، وكذا الشبكة العنكبوتية التيبيث من خلالها النص الأدبي ليصل إلى القارئ.

وتُعرّف الدكتورة **فاطمة البريكي** الأدب التفاعلي بأنَّه "الأدب الذي يُوظّف معطيات التكنولوجيا الحديثة في تقديم جنس أدبي جديد، يجمع بين الأدبية والالكترونيّة، ولا يمكن أن يتَأتى لمتلقيه إلَّا عبر الوسيط الإلكتروني، أي من خلال الشاشة الزرقاء، ولا يكون هذا الأدب تفاعليا إلَّا إذا أعطى المتلقي مساحة تعادل أو تزيد عن مساحة المبدع الأصلي للنص"[6]انطلاقا من هذا المفهوم فإنَّ لفظة (التفاعلي)لا تُطلق على هذا النوع من الأدب إلا حينما يحظى فيه المتلقي بمساحة واسعة تكون مُعادلة لمساحة مبدع النّص أو تزيد عنها أحيانا؛ بحُكم أنَّ رقمية الأدب ترتكز كثيرا على

---

[4] سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط (مدخل إلى جماليات الأدب التفاعلي)، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء/ بيروت، 2005، دط، ص9.

[5] إياد إبراهيم فليّح الباوي وحافظ محمد عبّاس الشمري: الأدب التفاعلي الرقمي(الولادة وتغيّر الوسيط)، دار الكتب والوثائق، بغداد، 2011م، ط1 ص19.

[6] فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ط1 ص49.

المنارة للاستشارات
ww

الصورة والحركة، وهو ما يمكن أن يشدّ المتلقي فيتسع دوره في العملية الإبداعية؛ حيث يمتلك المتلقي هنا حق المشاركة في النص الرقمي بالإضافة والتعديل وهذا ما يدخل في إطار عملية التفاعل، كما تُقرّ الناقدة **فاطمة البريكي** بأنَّ مصطلح الأدب التفاعلي يضم "جميع الفنون الأدبيّة التي نتجت عن تقاطع الأدب مع التكنولوجيا الرقميّة المتمثلة في جهاز الحاسوب الشّخصي المتصل بشبكة الإنترنت"[7] ولعلَّ ما نلحظه في هذه المفاهيم التي عرضناها هو اتفاقها حول فكرة أنّ الأدب الرقمي هو الأدب الذي يستفيد من تقنيات التكنولوجيا الرقمية في صياغة النصوص الأدبيّة والواضح أنَّ كلّ هذه التّسميات مفهومها جامع لمختلف الممارسات التي تحققت من خلال علاقة الأدب بالحاسوب والمعلوماتيات على تنوع أشكالها.

2- خصوصية إنتاج المعنى في النص الرقمي:

لطالما كانت جُلّ الأشياء في هذا الكون تحتقب معاني لا حصر لها، فما من شيء إلّا وتضمن معناه، وأضمر معاني هائلة في جوهره، وقد أولى الدارسون أهميّة قصوى للمعنى في النص الأدبي باعتباره الدعامة الأساسية التي يقوم عليها، فلا وجود للنص بلا معنى، ومع دخولنا عصر التكنولوجيا الرقميّة صار إنتاج المعنى في النص الأدبي يحتكم إلى أسس جديدة مغايرة لإنتاج المعنى في النص الرقمي؛ إذ "تعرف العمليّة الإبداعية في ظلّ ما يعرف الآن بالثورة الرقمية مجالات جديدة ومغايرة لتجليها، وذلك عبر الوسائط الالكترونية ، والشبكة العنكبوتية التي مكنت الفرد من خدمات سريعة وبوفرة بالغة، انعكست تجربة هذا التجلي المغاير على الأدب وقراءته"[8] إذ انتقل الدور من المبدع الى المتلقي الذي صار سيّد العملية الإبداعية يتحكّم في النص كما يشاء بينما صار

[7] فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي ، الصفحة نفسها.

[8] زهور كرام: الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، ص18.

المنارة للاستشارات
ww

دور المؤلف يقتصر على إنتاج النص فحسب؛ فالمؤلف الرقمي هو الذي "يؤلف النص الرقمي مستثمرا وسائط التكنولوجيا الحديثة ومشتغلا بتقنية النص المترابطhypertext. ومُوظفا مختلف أشكال الوسائط المتعددة، هو لا يعتمد فقط على فعل الرغبة في الكتابة والإلهام الذي يُرافق عادة زمن التخييل في النص المطبوع أو الشفهي ولكنّه إضافة إلى ذلك، إنّه كاتب عالم بثقافة المعلوماتيات ولغة البرامج المعلوماتيّة، والتقنيّة الرقميّة"[9]وهذا يعني أنّنا أمام قارئ تربطه علاقة وطيدة بالعلم وبمتغيرات التكنولوجيا الرقميّة، وهذا أمر جديد شهدته نظرية الأدب ؛إذ كانت في السّابق تقف عند نضج مخيّلة الكاتب ومدى إبداعيّة نصّه فحسب، في حين باتت مع الوسيط الجديد تنظر إلى المبدع من زاوية تكوينه النّصي وخبرته بالأمور الرقميّة.

يُعدّ النص عالما مجهولا، كان ومازال محل بحث واستكشاف الباحثين؛ خاصة إذا ما ارتبط بحقل الأدب حيث يزداد تأثيره وتعظم غرابته، ومع دخول النص الأدبي إلى عوالم الرقميّة أصبح "جوهر البحث في الأدب الرقمي يرتكز على مفهوم النص في ضوء المتغيّرات، وأدوار القارئ بالإضافة إلى المؤلف"[10]وكلّ هذه المعطيات تُشكّل أطراف العمليّة الإبداعية التي اتخذت شكلا جديدا مع الأدب الرقمي، حيث "غادر النص الرقمي المفهوم الذي بات الآن كلاسيكيا بحُكم ظهور مفهوم جديد للنص جعله يتجاوز مفهوم البناء اللغوي المألوف، إنّه يتشكل انطلاقا من المواد التي تُؤلف هيئته (اللغة، الصوت، الصورة .. البرامج المعلوماتية) في الحدود المفتوحة مع القارئ (خيارات خاصة قرارات فردية، وضعيات نفسيّة وذهنيّة، سلوك اجتماعي وثقافي..)"[11]فلم يَعد النص عبارة عن جملة من الكلمات والجمل، بل أصبح عبارة عن نصوص تحكمها الروابط، كما يخضع لتقنيتي الصوت والصورة التي جعلت القارئ يميل نحو هذه النصوص، لما تُتيحه من فرصة للمشاركة في

---

[9] المرجع نفسه، ص34.

[10] زهور كرام: الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية ، ص 48.

[11]المصدر نفسه، الصفحة نفسها.

المنارة للاستشارات
ww

تفعيل النص، كما أنّ "ولوج الحاسوب إلى عالم الإبداع الأدبي وسّع مفهوم النص، فلم يعد تلك اللّحمة بين الحروف والكلمات المجموعة بالكتابة، بل أضحى يتم رأى في صورة كلّ مركّب من علامات بصريّة عرفيّة (...)أو مرئية فوق سطح ذي بعدين، صفحة في كتاب أو ملصق على حائط أو شاشة أو حاسب آلي"[12] ومن هنا فتح المجال واسعا أمام القارئ حتى يتفاعل مع النص، بل وصار في أحيان كثيرة يتدخل في النص كقارئ فعَّال من خلال الإضافة أو الحذف.

يقوم النص الأدبي الرقمي على تقنيّة الرابط التي تشتغل على إنتاجيّة المعنى في النص الرقمي، فالرابط تقنية أساسيّة تسمح بتنشيط النص المترابط ودفعه نحو التحقق، بصفته يربط بين المعلومات مما يُساهم في تشكّل المعنى، والرابط كما يعرّفه **فنيفا ربوش** هو الذي "يربط بين معلومتين ينتج عن هذا الارتباط المعنى، وعليه، فإنَّ تدخل القارئ في اختيار الرابط يُفعل في إنتاج نوعية العلاقات المترابطة، ومن ثمة في نوعية المنتوج من هذه العلاقة بين معلومتين، ويكون الرابط غير مرئي، إنّما يتم التأشير عليه بإشارة، إمَّا تكون كلمة أو جملة أو صيغة تعبيريّة، أو علامة رمزيّة، بلون مختلف عن لون النص اللّغوي، أو تأتي كلمة تحتها خط سميك باللون الأسود"[13]وهنا نلحظ أنَّ للرابط أهميّة قصوى في النص الرقمي، حيث إنّه ينتج المعنى في النص المترابط، ولذلك فإنّه يستوجب على القارئ انتقاء الروابط في قراءة النص الرقمي، غير أنَّنا لا نستطيع الوقوف على كيفيّة اشتغال الرابط إلّا من خلال إدراك وظيفته "ووضعه المحوري في عمليّة الربط بين المعلومات، ويوضّح **سيرجبو شاردو** أهميّة الرابط بقوله: لا يظهر لنا الرابط فقط باعتباره وسيلة للعبور من مقطع سردي إلى آخر، ولكنّه محرّك

[12] عمر زرفاوي بن عبد الحميد: العصر الرقمي وثورة الوسيط الالكتروني(قراءة في تحوّلات اطراف المنظومة الإبداعيّة)، ص114.

[13] زهور كرام: الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، ص46.

المنارة للاستشارات

قويّ بلاغيا وسرديا"[14] وعليه فإنَّ النص المترابط يُحقّق للنص رقميته في إطار التفاعل مع القارئ ومختلف الوسائط الأخرى، وبهذا المنظور فإنَّ النص الرقمي الذي يُنتجه المؤلف ليس هو نفسه الذي يتم تلقيه من طرف القارئ الذي يمتلك سلطة التحكم فيه من خلال العلاقة التفاعلية التي تربط النص بالمتلقي.

إنَّ ارتباط خاصيّة الإنتاجية بالنص أمر طبيعي، ذلك أنّ إنتاجيّة المعنى لم تكن وليد العصر الرقمي فحسب، بل هي خاصية من خصائص النص المكتوب ورقيا؛ فإنتاجية المعنى خاصية من الخصائص التي تضمن ديمومة النص واستمراريته، فما من نص إلّا وقد استند إلى نصوص سابقة له، ذلك أنَّ كاتب النص لا ينطلق من الفراغ في تحرير نصّه، وإنّما يبني نصّه الجديد من حصيلة خبراته وقراءاته المتعددة، والنص عند **منذر عياشي** "دائم الإنتاج لأنّه مستحدث بشدّة، ودائم التخلق لأنّه دائما في شأن ظهورا وبيان، ويستمر في الصيرورة لأنّه متحرك وقابل لكلّ زمان ومكان، لأنّ فاعليته متولّدة من ذاتيته النصيّة"[15] ومن هنا نلحظ بأنَّ الإنتاجية خاصيّة من خصائص النّص التي تضمن صيرورته واستمراريته، سواء أكان هذا النص ورقيا أم رقميا، وهو ما يجعله نصا مستحدثا قابلا لأيّ زمان ومكان؛ ذلك أنّ فاعلية النص تنبع من ذاتيته النصيّة.

حتى إنّنا نجد **جوليا كريستيفا** تُؤكّد على فكرة أنّ "للنص طبيعة إنتاجية، وهي تعني ترحال النصوص وتداخلها

فالنص ليس بنية مُغلقة، وفي فضاء نص معيّن تتقاطع وتتلاقى عدّة ملفوظات مقتطفة من نصوص أخرى"[16] وهذا ما يُحيلنا على ما يُسمى بتداخل النصوص، أو ما يُعرف في الاصطلاح النقدي المعاصر ب **التناص**؛ فالنص ليس وليد الفراغ، وإنّما هو نتيجة لتقاطع مجموعة من النصوص السّابقة

---

[14] زهور كرام: الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية ، الصفحة نفسها.

[15] منذر عياشي: النص ممارساته وتجلياته، مجلة الفكر العربي المعاصر، 1992، ع98/97، ص55.

[16] جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، 1997، ط2، ص21.

المنارة للاستشارات
ww

التي أنتجت هذا النص الجديد،ولعلّ هذا ما يتوافق مع ما جاء به الأدب الرقمي الذي "يدعم هذه الفكرة ويعزّزها؛ إذ إنَّ النصوص المندرجة ضمن هذا المصطلح تغلب عليها السّمة الإنتاجيّة، ويبدو أنَّ كلّ نص منها مُولّد لعدد من النصوص، التي قد تُمثّل امتدادا أو ظلالا له، ويُمكن أن يُلحظ ذلك في (الشعر التفاعلي) على سبيل المثال، إذ يتولّد عن النص الواحد عدّة نصوص، يحمل كل منها معنى يختلف بنسبة ما عن الآخر"[17]وبهذا فإنَّ النص التفاعلي يحتمل العديد من النهايات التي يتحكّم القارئ في تحديدها، وهذه النهايات تختلف في كلّ مرّة باختلاف المتلقي، وعليه فإنَّ كل نص رقمي هو مشروع لتوليد وإنتاج نص رقمي آخر.

3- النص الأدبي الرقمي والمتلقي، تعزيز لفعل القراءة، أم تمييع لهويّة النص؟

عرف النقد في الفترة المعاصرة انقيادا كبيرا نحو المناهج النقدية المعاصرة التي أضحت تطبّق على النصوص الأدبيّة بغية تحليلها، والوقوف على بنيتها الداخليّة، وتعتبر نظريات القراءة والتلقي من أهم النظريات التي حظيت باهتمام النقاد والدارسين، أين سعوا إلى تطبيقها على النصوص الأدبية؛ إذ تسعى هذه النظرية إلى إشراك واسع وفعلي للمتلقي في العمليّة الإبداعيّة، وذلك بغية تطوير ذوقه الجمالي من خلال التواصل المستمر مع النصوص الأدبيّة، وبهذا أعادت نظريات القراءة والتلقي للقارئ مكانته بعدما همشته الثقافات السّابقة وجعلت المعنى متقوقعا في فكر المبدع، ومع دخول النص الأدبي إلى حقل الرقميّة تعززت نظريات القراءة والتلقي خاصة وأنَّ النص الأدبي الرقمي يُشرك المتلقي بشكل كبير في النص، بل إنَّ مساحة المتلقي فيه صارت تعادل مساحة صاحب النص أو تزيد عنها.

(17) فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص182.

المنارة للاستشارات
ww

إنَّ تحوّل مدار العملية الإبداعية في الأدب الرقمي إلى كفّة المتلقي فرضتها خاصية التفاعل القائمة بين النص وقارئه؛ ويُعرّف **سعيد يقطين** مصطلح التفاعل بأنّه "يعتبر في الإعلاميات بمثابة التبادل أو الاستجابة المزدوجة التي تتحقق بين الإمكانات التي يقدّمها الإعلام يأتي للمستعمل والعكس ويمكن التدليل على ذلك من خلال نقر المستعمل على أيقونة مثلا للانتقال إلى صفحة أخرى، كما أنَّ الحاسوب يمكن أن يَطلب من المستعمل فعل شيء ما، إذا أخطأ التصرّف من خلال ظهور شريط يحمل معلومات على المستعمل الخضوع لها لتحقيق الخدمة الملائمة، وهناك معنى آخر للتفاعل وهو أعم وهو ما يتمثّل في العمليات التي يقوم بها المستعمل وهو ينتقل بين الروابط لتشكيل النص بالطريقة التي تُفيده وهو بذلك يتجاوز القراءة الخطية التي يقوم بها قارئ الكتاب المطبوع"[18] ولعلَّ أهم نقطة يركّز عليها الناقد **سعيد يقطين** في تعريفه للتفاعل هو تلك العلاقة التفاعلية المتبادلة بين النص الالكتروني والمتلقي الذي يمتلك كامل الحرية في قراءة هذا النّص كما يشاء هو، وهو ما يجعل المتلقي طرفا أساسا في العملية الإبداعية الرقميّة، ويحق له أن يقرأ النص الرقمي تبعا لما يخدم مُيوله وتوجهاته الفكرية والثقافيّة، وعليه فإنَّ "التفاعل بين النص والمتلقي مرتبط ارتباطا شديدا بفكرة مشاركة المتلقي في إنتاج النص التي نادت بها نظرية التلقي، إذ رفضت أن يبقى المتلقي مستهلكا سلبيا لا يقوم بدور حيال النص سوى عمليّة الاستقبال السلبي لمعنى موجود مُسبقا، ومُحدد من قبل المبدع الذي يسمح للمتلقي باتخاذ أي موقف حيال نصّه سوى قبوله كما هو بمزيج من التسليم والاحترام"[19] ومن هذا المنظور لم يعد النص حِكرا على المبدع فحسب، بل صار المتلقي شريكا في العمليّة الإبداعيّة يتحكّم في النص كما يشاء؛ إذ حاربت نظرية التلقي القارئ السلبي للنص وشجعت القارئ الإيجابي الذي يُفعّل النص.

---

[18] سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط (مدخل إلى جماليات الأدب التفاعلي)، ص259.

[19] فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص150.

المنارة للاستشارات
ww

ولعلَّ عمليّة التفاعل التي نتحدث عنها تظهر بشكل جليّ في النص الأدبي الرقمي؛ إذ "تبدو العلاقة التفاعليّة في النصوص الأدبيّة المقدمة عبر الوسيط الالكتروني من خلال خاصيّة التفاعل التي يمتلكها النص الالكتروني بطبيعته والتي لا يجد من غيرها ذاته، ولا يستطيع أن يجده المتلقي بعيدا عنها، إذ لا وجود للنص الالكتروني إلّا مقترنا بالبعد التفاعلي الذي يُميّزه على نحو واضح عن النّص الورقي التقليدي"[20] حيث إنَّ خاصية التفاعل القائمة بين النص والمتلقي تفتح آفاقا واسعة للقارئ للمشاركة في العمليّة الإبداعيّة؛ حينما يصير بإمكانه التفاعل مع النص بالتقديم أو التأخير واختيار البدايات والنهايات، ولعلّ هذا تعزيز لفعل القراءة الذي صار غاية الأدب الرقمي في محاولة للخروج عن النمط التقليدي الذي يحصر المعنى في حدود النص والمبدع، في حين كان القارئ في السّابق يقف موقفا سلبيا وتحوّل المتلقي في ظلال التكنولوجيا الرقميّة إلى قارئ إيجابي يؤدي دورا في العملية الإبداعيّة؛ قد يكون هذا الدور هو مجرّد اختيار نقطة البدء في النّص، أو اختيار مسار من عدّة مسارات متاحة فيه أو غير ذلك..

مما لاشكّ فيه أنَّ من يمتلك "شروط الحقيقة المشهدية هو القارئ الوحيد القادر على تأويل المشهد، أو قراءة نص الواقع الافتراضي وفهمه وتفسيره والقبض عل دلالاته ومعانيه "[21] لأنّه قارئ يتعامل مع وسيط إلكتروني يمنحه حرّية التصرف في النّص كما يشاء، كأن يختار البداية والنهاية التي يريدها، ولعلَّ هذا ما يجعلنا أمام سؤال هوية النص الرقمي، هل يمكن القول بأنَّ تحكّم المتلقي في قراءته للنص يفرض بالضرورة ذوبان النص في ذات المتلقي، وبالتالي تمييع هويّة النص الرقمي؟

---

[20] المرجع نفسه، ص148.

[21] عمر زرفاوي بن عبد الحميد: العصر الرقمي وثورة الوسيط الالكتروني(قراءة في تحوّلات أطراف المنظومة الإبداعيّة)، ص119.

المنارة للاستشارات
ww

إنَّ قراءة النّص الرقمي وتحليله وسبر أغواره "تستلزم امتلاك نفس آليات الثقافة الرقميّة، وهذا يفرض على القارئ أن يمتلك هو الآخر – شأنه شأن المؤلف الرقمي- نفس إمكانيات الثّقافة الرّقميّة، ممّا يعني أنَّ منتج النص الرّقمي ومتلقيه يستعملان نفس التقنيات الرّقميّة، وفي هذا اختلاف بين الرّقمي والنّصوص الشّفهيّة والمطبوعة ورقيا المفتوحة – على الأقل- على قُرّاء مختلفين من حيث إرسال النصوص. أمَّا في وضعية النص الرقمي فإنَّ الاقتراب منهلا يتم إلَّا عبر الوسائط الرّقميّة، إضافة إلى اللّغة المرسل بها، غير أنَّ الملاحظ أنَّ القارئ الرقمي يعيش حرّية مفتوحة على الخيارات الذاتية في القراءة النصيّة"[22] إنّنا حين نطرح فكرة تمييع هوّية النص الرقمي، فإنَّنا نجزم بتحوّل زمام العمليّة الإبداعيّة إلى كفّة المتلقي، حيث يشترك المبدع والمتلقي في الآليات الرقميَّة ذاتها؛ بمعنى أَنْ يكونا على معرفة موحدة بالوسائط الالكترونيّة وكذا بطريقة عمل الرّوابط، إلى جانب الاشتراك في اللغة الواحدة، ما يضمن الاتفاق في الشيفرات بين المبدع والمتلقي لضمان فهم محتوى الرّسالة الممثلة في النص، وهذا ما يضمن أن لا تنصهر هويّة النص في ذات المتلقي حتى وإن كان يمتلك سلطة التّحكم في قراءته واختيار الرّوابط، وكذا تحديد بداية النص ونهايته، وقد عزّزت الوسائط الالكترونيّة دور المتلقي وأعطته مساحة واسعة في قراءة النص الرقمي والمشاركة فيه، غير أنّها لم تنف المبدع نفيا كُلّيا؛ إذ يبقى النّص منتسبا لصاحبه، في حين يستطيع القارئ التحكّم في طريقة قراءته، بل وقد يضع المبدع بعض الرّوابط في نصّه يدعو من خلالها القارئ إلى الدخول إليها ويوجهه خلال ذلك، وهذه العمليّة تسهم في تفعيل نصّه أكثر، ومن هنا يُمكن أن نستنتج بأنَّ فعل التلقي يتعزز أكثر بمشاركة القارئ الذي لا ينفي حضوره وجود المبدع الرقمي، بل قد يكون موجودا على الشبكة العنكبوتية يتابع الآراء النقديّة الموضوعة لنصّه وفي هذه الحالة يتحوّل المبدع الرقمي إلى متلق ثانٍ يُسهم أيضا في تعزيز فعل التلقي.

[22] زهور كرام: الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، ص38.

المنارة للاستشارات
ww

كما أنَّ "منتج النص التفاعلي كاتب وقارئ في آن واحد، هويته أنّه (كاتب مشارك): كاتب رحالة يقاوم الصورة النمطيّة للكاتب المنهمك مع ذاته مسترخيا في (برج عاجي)، كاتب ممارس للنسيان يقاوم الاستعمال التقليدي للذاكرة في دعم الإحساس بهويّة ثابتة، الكاتب التفاعلي يعرف أنّه لا توجد هويّة دائمة ويفهم حاجته لهويّة فريدة وظيفتها أن تكون مشهدا للهويات المتعددة الكامنة في أعماقه"[23] ولعلَّ هذا ما يؤكد أنَّ المبدع الالكتروني يدرك هويته تمام الإدراك، ويدرك بأنَّ المتلقي الذي يشترك معه في اللّغة نفسها، والثقافة نفسها، وكذا في الآليات الرقمية نفسها وبذلك تنبني قراءته للنص الرقمي في حدود هذه المعطيات الثلاثة، فالذاكرة الجمعيّة تتدخل في عمليّة التلقي حين يشترك المتلقي والمبدع في العوامل ذاتها، وبهذا تبقى العمليّة الإبداعية الرقميّة تعتمد على المتلقي وتُعطيه حيّزا واسعا لممارسة حرّيته في قراءة النص غير أنّها لا تنفي هويّة المبدع.

4- النص الأدبي من الورقيّة إلى الرقميّة وترسيخ فاعليّة التلقي:

انتقل النص الأدبي في الفترة المعاصرة من طور الورقية إلى طور الرقمية التي تحكمها الروابط النصيّة، وقد جاء هذا نتيجة لظهور وسائط جديدة في الإنتاج والتلقي؛ إذ تسعى هذه الرّوابط إلى الربط بين بنيات النص الرّقمي، ومن هذا المنطلق فإنَّ العصر الرقمي يستدعي قارئا رقميا يُجيد التعامل مع الوسائل التكنولوجيّة، كما أنّنا بحاجة إلى جنس أدبي جديد، وكتابة جديدة تتجاوز الأجناس الأدبيّة السابقة، وتُمثّل المرحلة الالكترونيّة في حياة النص الأدبي "انتقالا من عهد إلى عهد، وتشبه الانتقال من حضارة المشافهة إلى حضارة الكتابة قديما وقد شهد القرن العشرون انتقال آداب الإنسانية من حضارة الورق إلى حضارة التكنولوجيا والالكترونيات التي أخذت تتغلغل في مختلف

[23] جمال قالم: النص الأدبي من الورقية إلى الرقمية، مذكرة ماجستير، إشراف أحمد حيدوش، جامعة العقيد أكلي محند أولحاج، البويرة، معهد اللغات والأدب العربي، السنة الجامعية 2008-2008، ص99.

المنارة للاستشارات
ww

جوانب الحياة دون حدّ أو قيد، ولابدّ أن تكون مثل هذه الطفرة ذات أثر بالغ، ليس فقط على نوع النصوص المقدّمة (ورقية أو الكترونيّة)، إنَّما على طبيعتها، ونوعية الأفكار التي تطرحها، ومدى تواؤمها مع معطيات العصر، والتغيّرات التي تطرأ عليه خلال فترات زمنيّة قصيرة ومتقاربة زمنيا، بحيثُ لا تترك مجالا لاستيعاب ما قبلها إلّا فاجأتنا بمستجدات قد تكون أكثر تنوعا وتعقيدا"[24]فانتقال النص من الورقي إلى الوسيط الالكتروني لابدّ أن يصحبه انتقال وتغيّر في أطراف العمليّة الإبداعيّة (المبدع/ النص/ المتلقي)؛ إذ تغيّرت معطيات العصر وصاحب ذلك تغيّر في الأجناس الأدبيّة أين دخل الأدب عوالم الرقميّة، وصارت النصوص الأدبيّة تعتمد على الرّوابط النصيّة بعدما كانت تعتمد على الورق والحبر والطباعة.

إنَّ التعامل مع النص الأدبي الرّقمي يختلف باختلاف المتلقين، وكذا بمستوى ثقافتهم الرّقمية ومدى قدرتهم على التعامل مع النص الرقمي وسبر أغواره، ف "النص المترابط على مستويات منها المبتدئ، ومنها المتوسط، ومنها المعقّد ومن الطبيعي أن تكون بدايات الكتابات الرّقميّة يسيرة التعاطي مع المتلقين الذين لم يحترفوا التعامل مع الحاسوب فكان ميل تلك الكتابات إلى المستوى المبتدئ والمتوسط"[25]إنَّ التعامل مع النص الرقمي يستلزم وجود قُرّاء على دراية كبيرة بالحاسوب ومتعلقاته؛ حيثُ كانت بدايات التعامل مع النص الرقمي بسيطة، وهو ما يندرج ضمن المستوى المبتدئ وهذا حال كلّ بداية، ثُم أخذت في التطور فيما بعد لتصل إلى المستوى المتوسط ومن ثمة المعقّد، وهذا بعد أن صار القارئ الرقمي قارئا فاعلا يُشارك في العمليّة الإبداعيّة كمتلق إيجابي يعمل على تنشيط النص خاصة بعد أن تطورت قدراته الرقمية والتكنولوجية، وأصبح على معرفة كبيرة بتقنيات الحاسوب.

---

[24] فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص19.

[25] سلام محمد البناي: من الخطيّة إلى التشعب –مراجعة مشروع إبداع تفاعلي لتأمين ذاكرة جمعية–، مطبعة الزوراء العراق، 2009، ط1، ص24.

المنارة للاستشارات
ww

إنّنا حين نطرح موضوع الأدب الرقمي فإنَّ أوَّل سؤال يعترضنا في هذا المجال: هل هناك قطيعة بين الأدب في طوره الرقمي والأدب في طوره الورقي؟ والحقيقة أنَّ عملية تلقي الأدب الرقمي يُرافقها طرح "يذهب إلى الاعتقاد بوجود قطيعة بين الأدب في تجليه الرقمي، والأدب في طابعه المطبوع/ الورقي، من منطلق كون الزمن التكنولوجي سيحسم –بشكل نهائي– مع المطبوع والورق. وهو طرح وإن كان دافعه هو هذه الرغبة في التعامل مع الجديد والإيمان به، فإنّه في ذات الوقت يلغي من منطق التفكير النقدي، تاريخ نظرية الأدب التي تقر بمبدأ الاستمرار، والتعايش على مستوى الوسائط، والأشكال التعبيرية، وهو الأمر الذي أخصب الفعل الأدبي، ومكّنه من مساحات متفتحة على المحتمل والتجدد والغريب والمدهش، ولعلّه وضع يدعم مع كلّ مرحلة انتقالية في شكل التعبير وجنسه ووسيطه، مفهوم تنسيب النص، والمعرفة والحقيقة"[26] فبمجرد أن ولج الأدب إلى الوسيط الالكتروني، وصار المبدعون يدرجون نصوصهم عبر الفضاءات الرقميّة لتصل إلى القارئ الذي يُمارس فعل القراءة من خلال مشاركته في النص الأدبي الرقمي بالإضافة أو الحذف أو التعديل أتيحت للقارئ مساحة واسعة للتفاعل مع النص الأدبي، والحديث عن انتقال النص من طابع الورقية إلى طابع الرقميّة يجعلنا نصطدم بسؤال مفاده: هل يمكن القول بأنَّ النص الأدبي الرقمي يمكنه أن يحلّ محل النص الورقي، في ظلّ عصر صارت كلّ تعاملاته تقوم على التكنولوجيا الرّقمية؟

إنّنا حين نحاول الإجابة عن هذه الإشكالية يستوقفنا موضوع قديم خاض فيه الباحثون، وهو تلك الجدليّة القائمة بين الكتابة والمشافهة؛ حيث إنَّ ظهور الكتابة والتدوين لم ينسف المشافهة بل ظلّ متماشيا معها، كذلك الأمر ذاته مع دخول الأدب إلى ساحة الرقميّة؛ إذ إنَّ الكتاب الرقمي لم ينسف الكتاب الورقي بقدر ما جاء استجابة لمتطلبات العصر الرقمي الذي يستدعي أن يتماشى

[26] زهور كرام: الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، ص25.

المنارة للاستشارات
ww

الإنسان المعاصر مع متغيراته، خاصة وأنَّ الإنسان المعاصر دائم الانشغال ولا يملك من الوقت الكثير ليتصفح الكتاب الورقي بحُكم انشغاله مما أدى إلى عزوفه عن الورقي، في حين يتواجد على الشبكة العنكبوتية بشكل دائم ما يُتيح له فرصة الاطلاع على هذا الجنس الجديد من الأدب دون أن يُخلّ بمكانة الكتاب الورقي الذي تبقى قيمته راسخة عبر الأجيال.

وبناء على هذا فإنَّ انتقال النص من الورقيّة إلى الرقميّة يُعزّز خاصيّة التفاعل، حتى وإن كانت "لا تختص صفة (التفاعليّة) بالأدب في طوره الالكتروني، إذ إنَّ الأدب، في جميع أطواره، لا يكتسب وجوده وكينونته إلا بتفاعل المتلقين المختلفين معه، والذين تتنوع بتنوعهم واختلافهم طرائق تفاعلهم مع الأدب، وهذه الفكرة مشتركة بين الأدب في طوره الالكتروني والنظريات النقدية الحديثة، التي أكّدت على الصّفة التفاعليّة للعمليّة الإبداعية، بتعزيزها دور القارئ في بناء النص وإنتاج معناه"[27] فالتفاعليّة ليست مصطلحا جديدا ظهر مع الوسيط الالكتروني، وإنمّا قديم قدم الأدب نفسه

فحيثما تواجد النص الأدبي كان من الضروري أن يكون هناك قارئ يتلقى هذا الأدب ويتفاعل معه، فالعمليّة الإبداعية سواء في طورها الورقي أو الرقمي تستدعي وجود مؤلف، ونص (الإبداع الأدبي) ومتلقي يحقق عمليّة التفاعل ويُعزّزها، وإن كان التفاعل قد تعّزز أكثر في ظلال الأدب الرقمي فهذا راجع إلى المساحة الكبيرة التي مُنحت للقارئ الرقمي في النص.

خاتمة:

وفي الختام يُمكننا القول بأنّنا نعيش عصرا رقميا بما تحمله الكلمة من معنى، وعلينا أن نعي جيدا هذا التحوّل التكنولوجي الذي خلق ثورة رقمية ألقت بظلالها على جميع المجالات، وكان من الطبيعي أن يكون الأدب أحد هذه المجالات التي تأثرت بالتطور التكنولوجي، بصفته الوعاء الذي يحتضن روحه

[27] فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، ص54.

المنارة للاستشارات
ww

عصره ويعكس متغيراته، وعليه فإنَّ الانخراط في الأدب الرقمي مطلب حضاري، ذلك أن الأشكال الأدبية التعبيرية قادرة على احتضان معنى وجود الإنسان وكينونته في كلّ مرحلة، ومن الطبيعي كون الإنسان يعيش ثورة رقميّة أن تخضع تجربته الأدبية لحيثيات هذه الثورة وتتجلى عبر تقنياتها، وبناء على هذا فقد توصل هذا البحث إلى مجموعة من النتائج لعلَّ أهمّها:

– اشتراك النص الأدبي الورقي مع النص الأدبي الرقمي في خاصيّة التفاعل التي دعت إليها نظريات القراءة والتلقي بإشراك المتلقي في العمليّة الإبداعية، وإن كانت هذه الخاصيّة تعزّزت أكثر مع الأدب الرقمي نظرا لكونه يمنح مساحة واسعة للقارئ للتحكم في النص بالتقديم، والتأخير، والتعديل وإبداء الرأي فيه.

–تتميز إنتاجية المعنى في النص الأدبي الرقمي بخصوصية تختلف عن خصوصية النص الأدبي الورقي؛ إذ يقوم النص الأدبي الرقمي على تقنية الروابط التي تربط بين أجراء النص، كما يعتمد على الصوت والصورة وغيرها من التقنيات التي تُتيحها التكنولوجيا الرقميّة.

– إنَّ إشراك المتلقي في العمليّة الإبداعية لا يعد تمييعا لهوية النص بقدر ما يعد تنشيطا لفاعلية التلقي، فصاحب النص معروف وقد يكون مشاركا في جلسة نقدية حول نصه ويتفاعل مع آراء المتلقين مما يحوّله إلى متلق ثان.

– إنَّ انتقال النص الأدبي من طور الورقيّة إلى طور الرقمية جاء استجابة لمتغيرات العصر؛ إذ سيطرت التكنولوجيا الرقميّة على جميع مناحيه، فكان من الضروري أن يتأثر الأدب بصفته نصا يعكس روح العصر الذي ينتمي إليه وهو بذلك تعزيز لعملية التلقي من خلال منح القارئ سلطة أكبر للتحكم في قراءة النص، ولعلّ هذا ما ينتج عنه تعدد القراءات للنص الأدبي الواحد بتعدد القراء، واختلاف حالاتهم النفسية والاجتماعية والنفسية وكذا رؤاهم الفكريّة والثقافية، وهو ما يمنح النص الأدبي روحا جديدة مع كل قراءة.

المنارة للاستشارات
ww

قائمة المصادر والمراجع:

1-أحمد زهير رحاحلة: إشكاليات المتلقي في ضوء الإبداع الرقمي (المفاهيم، الشروط، الوظائف)، جامعة البلقاء التطبيقية، مقال منشور في الموقع الالكتروني: www.researchgate.net

2- إياد إبراهيم فليّح الباوي وحافظ محمد عبّاس الشمري: الأدب التفاعلي الرقمي(الولادة وتغيّر الوسيط)، دار الكتب والوثائق، بغداد، 2011م، ط1.

3- جمال قالم: النص الأدبي من الورقية إلى الرقمية، مذكرة ماجستير، إشراف أحمد حيدوش، جامعة العقيد أكلي محند أولحاج، البويرة، معهد اللغات والأدب العربي، السنة الجامعية 2008-2008.

4- جوليا كريستيفا: علم النص، ترجمة: فريد الزاهي، دار توبقال، الدار البيضاء، 1997، ط2.

5- زهور كرام: الأدب الرقمي، أسئلة ثقافية وتأملات مفاهيمية، منشورات دار الأمان، الرباط، 2013، ط2.

6- سعيد يقطين: من النص إلى النص المترابط (مدخل إلى جماليات الأدب التفاعلي)، المركز الثقافي العربي الدار البيضاء/ بيروت، 2005، د.ط.

7- سلام محمد البناي: من الخطيّة إلى التشعب –مراجعة مشروع إبداع تفاعلي لتأمين ذاكرة جمعية-، مطبعة الزوراء العراق، 2009، ط1.

8- عمر زرفاوي بن عبد الحميد: العصر الرقمي وثورة الوسيط الالكتروني (قراءة في تحوّلات أطراف المنظومة الإبداعيّة)، مجلة المخبر، وحدة التكوين والبحث في نظريات القراءة ومناهجها، جامعة بسكرة، العدد1، 2009.

9- فاطمة البريكي: مدخل إلى الأدب التفاعلي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، 2006، ط1.

10- منذر عياشي: النص ممارساته وتجلياته، مجلة الفكر العربي المعاصر، 1992، ع98/97.

المنارة للاستشارات

ww